وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

محاضرات في مقياس تاريخ الفكر السياسي و الاجتماعي

السنة الثالثة تاريخ عام

محاضرة بعنوان " النظرية الرأسمالية "

1- تعريف الراسمالية

نظام اقتصادي ونمط إنتاج يقوم على مبادئ الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج والمبادرة الفردية والمنافسة الحرة وتقسيم العمل وتخصيص الموارد عبر آلية السوق دون الحاجة إلى تدخل مركزي من الدولة.

في الواقع لا يوجد لحد الآن اتفاق حول مدلول مصطلح "الرأسمالية"، حيث نجد هناك تفسيرات مختلفة لها، ولعل أبرز هذه التفسيرات هو ما قدمه كل من ويرنر سومبيرت Werner Sombert وكُتاب المادية التاريخية و تفسير كارل ماركسKarl Markx ، حيث نجد ويرنر سومبيرت Werner Sombert يلتمس ملامح الرأسمالية من خلال شمولية الظواهر الاقتصادية و المتمثلة في الروح، أي روح المشروع أو روح المغامرة أو روح البرجوازية التي خلقت النموذج الذي يحكم المجتمع في ظل توجيه فكر وسلوك الإنسان إلى إيجاد العلاقات الاقتصادية التي ميزت العالم الحديث، أما التفسير الثاني فيرى أن للرأسمالية وجود حيثما وقع انفصال بين الإنتاج و تجارة التجزئة في المكان والزمان، بتدخل تاجر الجملة الذي يشترى السلع بغرض بيعها إذ رأى أنه يستطيع تحقيق ربح من وراء ذلك، و نلاحظ ذلك من خلال التعريف الذي قدمه نوسبام Nussbaum للنظام الرأسمالي على أنه: " نظام للتبادل الاقتصادي...الهدف الأساسي منه هو تحقيق الربح بلا حدود".أما كارل ماركس Karl Markx فيُفسر الرأسمالية على أنها أسلوب معين للإنتاج "الذاتي."

عرفت الموسوعة البريطانية الرأسمالية بأنها النظام الاقتصادي المهيمنة في العالم الغربي منذ تفكك الإقطاع، الذي يعتمد معظم وسائل الإنتاج مملوكة ملكية خاصة ويتم توجيه الإنتاج وتوزيع الدخل إلى حد كبير من خلال تشغيل الأسواق.

ومن التعريفات الأخرى للرأسماليّة: هي البيئة الاقتصاديّة التي تعتمد على استثمار الملكيّة الخاصة، لوسائل الإنتاج، وتبادل الثروات، وتوزيعها على المالكين من الأفراد، والمؤسسات، والدول.

2- لمحة تاريخية:

تطورت الرأسمالية عبر ثلاث مراحل كبرى، هي: الرأسمالية التجارية والرأسمالية الصناعية والرأسمالية المالية. وقد ارتبط ظهور الرأسمالية بحركة الاكتشافات الجغرافية في القرن السادس عشر، التي فتحت طرقا تجارية جديدة أمام التجار الأوروبيين وفرصا لتحقيق الأرباح من خلال استقدام السلع المتنوعة ومراكمة الثروات.

كما أسهمت أفكار عصر الأنوار التي تمجد الثروة بدلا من إدانتها كما كان عليه الأمر في القرون الوسطى، في تحفيز الناس على التجارة وجمع المال.

المحطة الثانية لتطور الرأسمالية هي ظهور الرأسمالية الصناعية في القرن الثامن عشر نتيجة للثورة الصناعية التي بدأت في إنجلترا، حيث اكتشفت تقنيات جديدة للإنتاج (كالمحرك البخاري وآلة الغزل) وانتشرت هذه التقنيات في بقية أرجاء أوروبا.

وأدى ظهور المصانع في أوروبا إلى بروز طبقة جديدة في المجتمع هي البورجوازية، وقد لعبت دورا هاما في تطوير الإنتاج الصناعي والترويج للأفكار الرأسمالية وإحداث قطيعة مع النظام الإقطاعي السائد من قبل.

دخلت الرأسمالية مرحلتها الثالثة مع نهاية القرن التاسع عشر، وتوصف هذه المرحلة بأنها مرحلة الرأسمالية المالية. وقد عرفت هذه المرحلة ظهور المؤسسات المصرفية العالمية الكبرى والشركات القابضة وانتعشت أسواق الأوراق المالية، ووقعت الشركات الصناعية تحت هيمنة القطاع المصرفي.

3- المبادئ :

حيث تعود الأصول الفكرية والنظرية للرأسمالية إلى المدرسة الاقتصادية الكلاسيكية مع إسهامات كل من، آدم سميثA.Smith ، ومالثوسThomas Robert Malthus ، وديفيد ريكاردو Ricardo و من أبرز أفكارها:

1 - الحرية الاقتصادية: فهي ترى أن الشؤون الاقتصادية شبيهة بمختلف الظواهر الطبيعية الموجودة في الكون والمحكومة بقوانين، ومن الضروري اكتشاف هذه القوانين والانسجام معها والأكثر من ذلك تركها تعمل ذاتياً دون تدخل يعيقها، فعملها الذاتي أي الفردي هو الكفيل بتحقيق أفضل النتائج.

2 - مبدأ اليد الخفية: وهي امتداد للحرية الفردية فمن خلال دعم النشاط الداخلي على حساب النشاط الخارجي فإن الفرد لا ينشد إلا أمنه الخاص، وأثناء توجيهه لهذا النشاط بكيفية يكون فيها لمنتوجه القيمة الأكبر فهو في هذه الحالة مدفوع بيد خفية كي يقدم غاية لم تكن في نيته البته في خدمة المجتمع، وبالتالي فمن خلال خدمة مصلحته الخاصة فهو يدفع مصلحة المجتمع إلى الأمام.

3 - المحرك الأساسي للفرد: حيث يعتبر المحرك الأساسي للفرد هو الدافع الاقتصادي المعبر عنه بالرغبة الشخصية، و المنافسة التي تعد محرك للفعاليات الاقتصادية.

يؤمن النظام الاقتصادي الرأسمالي بالربح المادي محفزا للأفراد على المبادرة والمخاطرة واستثمار رؤوس الأموال لكسب المزيد من الأرباح ومضاعفة الثروات، كما يعتقد أنصاره أن قوة تراكم رأسمال هي السبيل إلى النمو والتنمية الاقتصادية، من خلال تمويل الاستثمارات الضخمة والمشاريع الكبرى.

ويراد برأس المال كل الأموال التي يمكن استثمارها بقصد جني الأرباح. ولا يقتصر الأمر على النقود فقط بل يتعداها إلى كل الأصول التي يمكن توظيفها في عملية الإنتاج، من عقارات ومنقولات ومعدات وسلع ومواد أولية وأوراق مالية وحقوق ملكية فكرية، فضلا عن الأصول السائلة.

والنظام الاقتصادي الرأسمالي هو السائد في كل بلدان العالم منذ انهيار الاقتصادات الاشتراكية والمُخَطَّطة مع نهاية القرن العشرين، والتحاقها بركب الرأسمالية بإيعاز من المؤسسات المالية الدولية، إلا أن هناك تفاوتا واضحا في دول العالم على مستوى تطبيق مبادئ النظام الرأسمالي خصوصا فيما يتعلق بالدور الموكول إلى الدولة في الاقتصاد ودرجة تحرير الأسواق.

4- مراحل تطور النظرية الرأسمالية:

كانت الرأسمالية في بدايتها بعيدة عن الشكل أو المفهوم الذي عليه الآن. ولذلك فإن المفتاح لتحسين فهمنا للرأسمالية هو تحقيق المزيد من استجلاء الأشكال المحددة التي اتخذتها الرأسمالية في الأطوار المتعاقبة من وجودها. فالنظرية الرأسمالية تطورت عبر مراحل عدة نذكر أهمها:

مرحلة الرأسمالية التجارية.

مرحلة الرأسمالية الصناعية.

مرحلة الرأسمالية ما بعد الصناعية.

مرحلة الرأسمالية المالية.

مرحلة الرأسمالية التجارية (المركنتيلية) :

وهي المرحلة التي تمتد من منتصف القرن السابع عشر وحتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر، والتي سيطر فيها رأس المال التجاري الأوروبي على أسواق العالم وظهر فيها ما يسمى بالدول القومية. و مع التقدم الإجتماعي التدريجي بدا التميز بين الطبقتين في المجتمع الرأسمالي: طبقة الرأسمالية "البرجوازية"، والطبقة العاملة "البروليتاريا".

دور الثورة النقدية في دعم الراسمالية : كانت نتيجة تدفق الذهب الذي اكتُشف في أمريكا والمكسيك والبيرو طيلة القرنين السادس عشر والسابع عشر، فاستطاعت الرأسمالية التجارية بشركاتها العملاقة من خلال ما كونته من إمبراطوريات واسعة، أن تكدس أرباحا ضخمة عن طريق العمل على ترسيخ نمط الإنتاج الكولونيالي الذي أرسى

دعائمه المستوطنون البيض في فترة الكشوف الجغرافية؛ مما أثر في ارتفاع كبير في الأسعار واغتناء الطبقة البرجوازية الصاعدة.

مرحلة الرأسمالية الصناعية:

وهي المحطة الثانية لتطور الرأسمالية، بدأت مع ظهور رأس المال الصناعي، وتحققت خلال الفترة الممتدة بين النصف الثاني من القرن الثامن عشر وحتى سبعينيات القرن التاسع عشر، نتيجة للثورة الصناعية التي بدأت في إنجلترا - حيث اكتشفت تقنيات جديدة للإنتاج (كالمحرك البخاري وآلة الغزل) - لتنتشر هذه التقنيات فيما بعد في العديد من الدول الأوربية وأمريكا واليابان في فترات متفاوتة؛ فانجلترا جمعت كل الخصائص الأساسية التي تبعت هاته الفترة التاريخية التي تعلقت بمعطيات اقتصادية وديمغرافية واجتماعية وفكرية علماً أن عوامل الثورة الصناعية معقدة ومتداخلة لحد أن مؤرخي الحياة الاقتصادية اختلفوا في تحديد الأسباب الأساسية للتغيرات التي طرأت على الواقع الاقتصادي بمناسبة هذه الثورة، إلا أن مما شك فيه أن الاختراعات التقنية مَكَّنَتْ من استعمال وسائل تقنية جديدة زادت إنتاجية العمل بدخول الآلة ميدان الإنتاج وتعويض العنصر البشري

مرحلة الرأسمالية ما بعد الصناعية:

وفي هذه المرحلة لم تتخل الرأسمالية عن التجارة أو الصناعة أو المال، بل تجاوزت ذلك كله إلى مرحلة أرقى من تطوير قوى الإنتاج استناداً إلى العلم والتقنية، فيما صار يعرف باسم (الثورة الصناعية الثالثة) أو (الثورة العلمية والتقنية في خدمة المشروعات). وانعكست آثار هذه الثورة على كل بقاع العالم؛ كتبعية وعبئاً على العالم الثالث، وثروةً وسلطةً على دول المراكز الرأسمالية.

مرحلة الرأسمالية المالية:

بدأت هذه المرحلة مع دخول الرأسمالية مرحلة الاحتكار في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث زادت درجة تركز الإنتاج ورأس المال، وأخذت المؤسسات الصناعية الكبيرة تزيح من أمامها المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، منهية بذلك عصر رأسمالية المنافسة، وبرزت قوة رأس المال المالي، وهو رأسمال يستخدم في الصناعة بصورة أساسية، وتسيطر عليه البنوك والشركات الصناعية لاعبةً الدور التسييري للحياة الاقتصادية باعتبارها الممول الأساسي للمؤسسات الكبرى التي اضطرت لاستعمال القروض البنكية ولإصدار الأسهم حتى تتمكن من جمع الموارد المالية استجابة لمتطلبات النمو.